الجهد التفسيري عند عبد الرزاق الصنعاني

د. فاضل النعيمي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الهدى محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وسلك سبيله، واتبع سنته، وجاهد في الله حق جهاده.

وبعد:

فهذه دراسة لجهود واحد من الأئمة الأعلام في الدراسات الإسلامية، الذي أحاط كتاب الله فهماً وتفسيراً، وبذل في خدمته جهوداً جليلةً، وترك آثاره من بعده شاهدةً تتخذ سبيلها في تاريخ التفسير القرآني بخاصة، وفي بناء صرح الحضارة الإسلامية بعامة، ذلكم هو المفسر الجليل عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م) الذي قدّم للمكتبة الإسلامية تفسيراً للقرآن الكريم الموسوم باسم ((تفسير عبد الرزاق الصنعاني)). ويعود السبب في اختيارنا لهذا الموضوع (الجهد التفسيري عند عبد الرزاق الصنعاني) جدة موضوعه، وإظهاراً لمكانة تراث هذا الرجل بين تراثنا الخالد، الذي ساهم في تطور مسار حركة التفسير، مما يوصلنا إلى المغلق في هذا التراث، ويوقفنا على المجهول منه. والجديد في هذا البحث هو تناول جهود هذا المفسر بالدراسة والبحث الشامل، وإبرازها في منهجية متكاملة. ولم تمتد يد الباحثين إلى دراسة جهود عبد الرزاق الصنعاني التفسيرية عملاً مستقلاً تهدف إلى سبر أغوار هذا المفسر في مؤلفه التفسيري، وكل ما وجدته عنه هو تحقيق مخطوطته التفسيرية التي حققها الباحث الدكتور مصطفى مسلم محمد التي كانت مدار اعتمادنا في بحثنا هذا، دون الخوض في دراسة منهجيته في التفسير، فجهد هذا الباحث مشكور في إحياء تراث هذا المفسر الجليل.

أما دراسة الدكتور محمد حسين الذهبي فمع اهتمامه في مؤلفه بالتفسير والمفسرين، إلا أنه فيما يبدو أهمل هذا المفسر، وهذا الإهمال يحس به الباحث لدى الاستقراء. من هذا المنطلق جاءت دراستنا لتتقصى جهد هذا المفسر بدقة وعمق، والتعرف على منهجيته، مع تقديم التحليلات والتعقيبات، خدمةً للقرآن الكريم ونفعاً للباحثين في الدراسات القرآنية. وكانت طبيعة هذا البحث أن ينتظم في مقدمة ومبحث تمهيدي وأحد عشر مبحثاً وخاتمة. وقد أشرنا في المقدمة إلى أهمية هذا البحث وسبب اختيار الموضوع. وتناول المبحث التمهيدي إعطاء فكرة إجمالية عن عبد الرزاق الصنعاني والتعريف بتفسيره. وجعل البحث على أحد عشر مبحثاً تناولت دراسة واضحة لأسس المنهج التفسيري عند عبد الرزاق الصنعاني وخصائصه، وهي كالآتي:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة النبوية

ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة وكبار التابعين

رابعاً: التفسير اللغوي والبلاغي

---

* استاذ مساعد /كلية التربية الاساسية/قسم اللغة العربية

خامساً: عنايته بالقراءات القرآنية
سادساً: المباحث الفقهية في تفسيره
سابعاً: موقفه من الناسخ والمنسوخ
ثامناً: عنايته بالأخبار التاريخية
تاسعاً: خوضه في الإسرائيليات
عاشراً: التفسير الوعظي والأخلاقي
حادي عشر: لمحات شتى متعلقة بنظراته العقلية الخاصة

وبعد هذه الدراسة تأتي خاتمة البحث، لخصنا فيها عملنا وأشرنا إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها. ولا أدعي لهذا البحث الكمال، وقد لا يخلو من بعض الهنات، فالكمال لله وحده، فإن فاتني شيء من هنا أو هناك فهذا من طبيعة جهد الإنسان. وفي الختام نسأل الله تعالى أن يتقبله منا بأحسن قبوله، وأن ينفع به الباحثين والدارسين، وأن يجعله ذخيرة لنا يوم الدين. وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم عليه توكلت وإليه أنيب وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مبحث تمهيدي يتناول إعطاء فكرة إجمالية عن عبد الرزاق الصنعاني والتعريف بتفسيره

من أئمة التفسير الذين حملوا على عاتقهم أمانة الفكر وأداء الكلمة في تفسير القرآن الكريم وشرحه وتوضيحه للأجيال في مطلع القرن الثالث للهجرة، المفسر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم أبو بكر الصنعاني (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م) الذي ألف تفسيراً للقرآن سماه ((تفسير عبد الرزاق الصنعاني))[١]. كان عبد الرزاق الصنعاني أحد الأئمة الأعلام من الحفاظ والمحدثين والفقهاء، وهو ثقة حافظ شهير، عمي في آخر عمره فتغير[٢]. نال عبد الرزاق الصنعاني من أكابر علماء الإسلام شهادات ثناء كثيرة تشهد له بقوة الحفظ وقوة الضبط والإتقان والعدالة، وخرّجوا له في الصحاح والسنن، إضافة إلى أنه إمام موثوق في علم الرواية مما يضفي على الأقوال التي أوردها في تفسيره قيمة علمية كبيرة. وكان عالم زمانه لا ينازعه منازع، ذاع صيته في العالم الإسلامي، وشُدّت إليه الرحال، وسنجد من بين تلاميذه الذين قصدوه لأخذ الحديث عنه أئمة الحديث من أمثال إسحاق وأحمد ويحيى بن معين وغيرهم، مما يشهد له برسوخ قدمه في هذا العلم.

قال عنه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد بن حنبل: قال أبو يعقوب: ما رُحل إلى أحد من رسول الله ﷺ ما رُحل إلى عبد الرزاق[٣]، وهو يقصد أئمة الحديث والفقه أمثال: الشاذكوني، وابن المديني، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، واسحاق بن راهويه، وغيرهم. وقال الذهبي عنه: ((وثّقه غير واحد، وحديثه مخرج من الصحاح، وله ما بنفرد به، وكان رحمه الله من أوعية العلم، ولكنه ما هو في حفظ وكيع وابن مهدي))[٤]. وشيوخ عبد الرزاق كثيرون يُعدون من أكابر علماء عصره، إذ أنه تتلمذ على يدهم، ذكر المصنفون جملة منهم: أبوه همام بن نافع، وعمه وهب، وعن معمر بن راشد، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وعكرمة بن عمار، ومالك إمام دار الهجرة، وزكريا بن إسحاق المكي، وثور بن يزيد، وابن جريح، وخلق كثير غيرهم[٥].

ولعبد الرزاق تلاميذ كثيرون أخذوا عنه، فبعد أن اشتهر الإمام عبد الرزاق وذاع صيته، ضربت إليه أكباد الإبل كما توقع له شيخه معمر بن راشد، وقصده بعض كبار الأئمة في عصرهم، نذكر منهم: الإمام أحمد بن حنبل، والإمام يحيى بن معين، وإسحاق بن إبراهيم بن راهويه المروزي، وأحمد بن صالح، وابن أبي عمر، وإسحاق بن منصور، وأحمد بن يوسف السلمي، وغيرهم. وروى عنه وكيع وأبو أسامة وهما من أقرانه، وروى عنه ابن عيينة، ومعتمر بن سليمان وهما من شيوخه(٦).

أما آثاره العلمية: فقد ذكر العلماء أن له من الكتب: السنن في الفقه، المغازي، تفسير القرآن، الجامع الكبير في الحديث، تزكية الأرواح عن مواقع الإفلاح.وتفسير عبد الرزاق لم يشمل القرآن كلاً متماسكاً، يفسر القرآن سورة سورة، وآية آية، من مبتدئه إلى منتهاه، بل نجده قد أبقى هذا الأثر التفسيري على شكل آيات متقطعة ومجزأة من القرآن الكريم، ابتداءً من سورة البقرة واختتاماً بسورة الناس. والمؤلف -رحمه الله- قد جعل جل اعتماده في تفسيره أولاً وقبل كل شيء، بل كله على ما وصل إليه من التفسير عن الرسول الأكرم ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين رحمهم الله جميعاً، إذ يروي بعضهم عن بعض. إن الحقبة التاريخية التي نشأ فيها هذا التفسير كانت مقترنة بتاريخ الرواية عن النبي ﷺ فكان أصحاب الرواية والحديث هم أصحاب التفسير في مرحلته الأولى، علماً بأن التفسير لم يختلط بالحديث، فالحديث له مدوناته الخاصة به، إذ كان العلماء في هذه الفترة من طوّف في الأمصار المختلفة ليجمع الحديث، فجمع بجوار ذلك ما روي في الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة أو إلى التابعين، ولما كان عبد الرزاق الصنعاني واحداً من الأعلام الحفاظ، فقد كان جمعه للتفسير جمعاً لباب من أبواب الحديث. لقد أفاد كبار المفسرين من هذا التفسير المخطوط، لا سيما الذين جاءوا من بعده أمثال: ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م) وابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٩م) وابن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) والسيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) وغيرهم. أما الروايات التفسيرية التي جاءت في تفسير عبد الرزاق الصنعاني فدارت على أسانيد متعددة، إلا أن أهم هذه الأسانيد وأشهرها:

السند الأول: عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن قتادة.

السند الثاني: عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

السند الثالث: عبد الرزاق قال: حدثنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

السند الرابع: عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن الزهري والحسن.

السند الخامس: عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة.

وهذه الأسانيد صحيحة رجالها ثقاة، كما وثقهم أصحاب كتب التراجم والطبقات(٨).

ونجده يذكر الروايات بسندها الكامل، إلا أن الملاحظ عليه أنه لم يعقب على هذه الروايات فلا نجده يضعّف ولا يصحح، فكان تفسيره جامعاً فقط لما يروي عن السلف في التفسير، لم يتحر الصحة فيما جمع في هذا التفسير، وإنما خلط فيه بين الصحيح والعليل. وتكفينا هذه الإلمامة الموجزة في أخذ صورة عامة عن إمام من أئمة التفسير والحديث القدامى الذي بذل جهوداً واضحة في العناية بتفسير كتاب الله، إذ حفظ مخطوطه لنا

كنوزاً كثيرةً من الآثار التفسيرية المسندة عن الرسول الكريم ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم وعن التابعين رحمهم الله، تلك الآثار التي كانت ترفد العالم الإسلامي بسيل من المعارف لا ينضب، وتنير الدرب أمام الدارسين بمصابيح من الهداية لا تخبو.

أسس المنهج التفسيري عند عبد الرزاق الصنعاني وخصائصه

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن:

أجمع العلماء المهتمون بالدراسات القرآنية على أن من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أجمل منه في مكان قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر... فإن أعياك ذلك طلبه من السنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له... فإن لم يجد من السنة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال... وقد روى الحاكم في المستدرك أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع.[٩] لقد كان عبد الرزاق الصنعاني من أولئك المفسرين الذين التزموا هذا المنهج الأمثل في التفسير المجمع عليه، فنجده كثيراً ما يستعين بآيات قرآنية ليوضح بها آيات أخرى. وهذه نماذج من تفسيره تبين مدى استخدامه لهذا الأسلوب التفسيري: ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ [البقرة: ٢٢٩]، أخرج عبد الرزاق من طريق الثوري عن إسماعيل بن سميع عن أبي زين، قال: قال رجل: يا رسول الله، أسمع الله يقول: ﴿**الطلاق مرتان**﴾ قال: فأين الثالثة؟ قال: ﴿**تسريح بإحسان**﴾.[١٠] فعبد الرزاق أورد لنا هذه الرواية التفسيرية المسندة عن الرسول الكريم ﷺ، المبنية على تفسير القرآن بالقرآن من خلال السياق القرآني نفسه، فالرجل إذا طلق امرأته التطليق الشرعي، تطليقه بعد تطليقه على التفريق، أو الطلاق الرجعي مرتين، فالثالثة لا رجعة بعدها أي أن يسرحها بإحسان لجبر الخاطر وأداء الحقوق وعدم المضارة. ونراه يحرص كل الحرص على الاستعانة باسلوب تفسير القرآن بالقرآن من خلال النظر إلى الآيات التي تتحدث عن موضوع واحد، حتى يوفر لتفسيره الوحدة الموضوعية المتكاملة، وهذه الطريقة في التفسير تعد من النظرة الموضوعية في القرآن والتي تسمى بالتفسير الموضوعي. ففي تفسير قوله تعالى: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ [التوبة: ٨٠]. أخرج عبد الرزاق من طريق معمر عن قتادة قال: ((لما نزلت استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، قال النبي ﷺ: لأزيدن على السبعين، فقال الله: ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴾ [المنافقون: ٦]))).[١١] فالإمام المفسر -رحمه الله- ينقل لنا هذه الرواية المأثورة عن الرسول الأعظم ﷺ، التي ردّ فيها آية سورة (المنافقون) ليفسر بها آية سورة التوبة، والآيتان تتحدثان عن موضوع الاستغفار لهؤلاء المنافقين الذين مهما أكثر منه الرسول الكريم ﷺ بعد ترخيصه فلن يغفر الله لهم، لإصرارهم على الكفر والفسوق. ونراه يستعين بهذا الأسلوب التفسيري لبيان معنى مبهم في الآية، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ [البقرة: ٣٧] رأى المفسر أن لفظة (الكلمات) الواردة في آية سورة

البقرة مبهمة في دلالتها على المعنى المراد وهي بحاجة إلى بيان، ففسرها بما جاء في آية سورة الأعراف على لسان آدم وحواء وهو قوله تعالى: ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف:٢٣][١٢] فهو قد أوضح حقيقة هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه من خلال الاحتكام إلى النص القرآني في موضع آخر. ونجده أحياناً يفيد من أسلوب تفسير القرآن بالقرآن لبيان معنى مجمل في الآية،ففي وقوفه عند قوله تعالى: ﴿ وعلى الذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك من قبل ﴾[النحل:١١٨] ، يلفته في الآية أن هناك إجمالاً واقعاً في الآية مستفاد من صيغة التحريم (حرمنا) الذي يعني عدم تناول هذه الأشياء التي ذكرها الله على اليهود بسبب بغيهم، ويستدل له بآية أخرى فيقول: ((هو في سورة الأنعام﴿ وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم.. الآية ﴾ [الأنعام: ١٤٦]))[١٣] فهو قد أوضح التحريم الذي حرمه الله على اليهود الذي جاء مجملاً في آية سورة النحل، بما جاء مفصلاً في آية سورة الأنعام. وأحياناً نجده يلقي بعض الأضواء الكاشفة على معاني الآي من خلال مقابلتها بعضها ببعض، وليربط بينهما برباط قوي من التوضيح. ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ [الزمر: ٧٥] وضح عبد الرزاق من طريق معمر عن قتادة قال: ((افتتح بالحمد وختم بالحمد، افتتح قوله: ﴿ **الحمد لله خلق السماوات والأرض** ﴾[١٤] وختم قوله: ﴿وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ [الزمر: ٧٥]))[١٥] فهو قد أوضح من خلال عرضه ومقابلته لتلك الآيات أنه من كلام الله تعالى، فقال في ابتداء الخلق ﴿ الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض ﴾ [الأنعام: ١] وقال بعد إفناء الخلق ثم بعد بعثهم واستقرار أهل الجنة في الجنة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الزمر: ٧٥] فوجب الأخذ به بأدبه في ابتداء كل أمر بالحمد وختمه بالحمد أيضاً. وأخيراً فإذا كان عبد الرزاق في استعانته بالآيات القرآنية المتفقة يتناول منها ما كان متفقاً في المعنى والموضوع، فهو أيضاً يتناول منها ما كان متفقاً في النظم والأسلوب، فهو عندما يفسر قوله تعالى: ﴿ وآتيناه أجره في الدنيا ﴾ [العنكبوت: ٢٧] يقول: ((هي كقوله: ﴿وآتيناه في الدنيا حسنة ﴾ [النحل: ١٢٢]))[١٦] فهو بحسه اللغوي والبلاغي الأصيل يلحظ صلة شدة القرب في القولين الكريمين واتفاق معناهما. وهكذا فإن عبد الرزاق الصنعاني في استخدامه لهذا الأسلوب التفسيري المعني بتفسير القرآن بالقرآن يكشف عن ثقافته الواسعة وإلمامه الكبير بالبيان العربي وتمتعه بالملاحظة القوية والمقدرة الذهنية العالية، وكل ذلك يساعد على فهم مراد الله تعالى وكشفه بدقة بالغة.

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة النبوية:

لقد اشتمل تفسير عبد الرزاق الصنعاني على عدد كبير من الأحاديث النبوية الشريفة، فهو دائم الاستشهاد بها في التفسير، ودائم الاستعانة بها في التوضيح والكشف عن مراد الله تعالى. وللأحاديث التي فسرت القرآن الكريم في تفسيره صوراً كثيرة، فهي ترد طويلة العبارات ومتوسطة وأحياناً قصيرة.

وكانت طريقته في التفسير أن يذكر الآية القرآنية المراد تفسيرها، ثم يستشهد بالحديث النبوي لبيان مراد الله تعالى وتوضيحه، وبذا يعزز الحديث النبوي في هذا السفر النفيس، ويصبح أحد مصادره، ومظنة من أوثق مظانه. فحينما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ [البقرة: ٢١٣] أخرج عبد الرزاق بسنده من طريق معمر عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: ((نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له، فالناس لنا تبع فيه غداً لليهود وبعد غد للنصارى[١٧]))[١٨]. فهذا الحديث طويل. ومن أمثلة الأحاديث الطويلة التي فسرت بعض آيات القرآن الكريم الحديث الذي أخرجه عبد الرزاق بسنده من طريق معمر عن الزهري في قوله تعالى: ﴿**رب اجعل هذا بلداً آمناً**﴾ [البقرة: ١٢٦] قال: قال النبي ﷺ: ((إن الناس لم يحرموا مكة ولكن الله حرمها، فهي حرام إلى يوم القيامة، وإن أعتى الناس على الله ثلاثة: رجل قتل في الحرم، ورجل قتل غير قاتله، ورجل أخذ بنحول أهل الجاهلية[١٩]))[٢٠]. وأحياناً يأتي عبد الرزاق بأحاديث متوسطة مفسرة لكلام الله، كما يتبين ذلك بوضوح عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿ **وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾ [آل عمران: ٣٦]، يذكر لنا عبد الرزاق بسنده عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ((ما من مولود إلا الشيطان يمسه، فيستهل صارخاً من مسة الشيطان إياه إلا مريم وابنها)) ثم يقول أبو هريرة: إقرؤوا إن شئتم: ﴿ **وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾[٢١].ومن أمثلة الأحاديث المفسرة لكلام الله، الحديث الذي ذكره عبد الرزاق في تفسير قوله تعالى ﴿ **يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ [البقرة:٣٥] بقوله: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: ((**خلق الله آدم من أديم الأرض كلها فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأسود والأحمر وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب**))[٢٢]. وأحياناً يأتي عبد الرزاق بأحاديث قصيرة مفسرة لكلام الله، ومثال ذلك: عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿ **وإني فضلتكم على العالمين** ﴾ [البقرة:١٢٢] ذكر لنا أن الرسول ﷺ يقول: ((أنتم تتمون سبعين ملة، أنتم خيرها وأكرمها على الله))[٢٣] .هذه النماذج التي ذكرناها من تفسير الرسول الكريم ﷺ للقرآن الكريم تؤكد لنا مدى أهمية هذا النوع من التفسير وأنه كان سمة من سمات منهج عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره.

ثالثاً: تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة وكبار التابعين:

الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين اختارهم الله لمجلس رسوله ﷺ ولحمل رسالته وتبليغ شريعته،وقد اصطفاهم الله لذلك، فكانوا نموذجاً فريداً تقتدي بهم الإنسانية وتسير على هداهم إلى يوم الدين، وقد وصفهم الله بقوله تعالى: ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً** ﴾ [الفتح:٢٩] . ومن المعلوم أن صحابة رسول الله ﷺ والعلماء منهم خاصة كانوا أعلم الناس بتفسير كتاب الله، أولائكم الذين نزل القرآن بمعرفتهم وشغلتهم أنواره منذ انبثاق نوره، فكانوا في ذلك أفقه رجال الأمة وأعلمهم بمقاصد الشرع وأحكامه، فهم الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل وفهموا

مقاصد الرسول ﷺ، كل ذلك أتاح لهم الفرصة لتفهم نصوص القرآن وتفسيره فاشتهروا بالتفسير والفقه والفتوى، إذ كان لآرائهم مكانة مهمة في تفسير القرآن وفهم آياته لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي أحاطت نزول القرآن[٢٤] وكذلك التابعين الذين تلقوا علومهم من صحابة رسول الله ﷺ، ونقلوا لنا بدقة فائقة تفسير كتاب الله في إطار ضوابطه الصحيحة القائمة على القرآن الكريم والسنة البنوية المطهرة واللغة والاجتهاد.ضم تفسير عبد الرزاق الصنعاني عدد كبير من الروايات التفسيرية التي أثرت عن الصحابة وكبار التابعين، فهو يروي عن ابن عباس، وابن مسعود وعن أنس بن مالك، وعن مجاهد، وقتادة، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وأبي موسى الأشعري، وعكرمة، والكلبي، وعبيده السلماني، ومحمد بن كعب القرظي، والزهري، وابن المسيب، والسيدة عائشة (رض)، والأعرج، والشعبي، وأبي هريرة، وغيرهم. وتأتي هذه الروايات المأثورة في تفسير عبد الرزاق الصنعاني أحياناً تفسيراً للآية، وأحيانا للاستشهاد والتقوية، فمثلاً عندما يفسر قوله تعالى: ﴿ **فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى** ﴾ [طه: ١٢٣] يروي عن ابن عباس أنه قال: ((من قرأن القرآن فاتبع ما فيه هداه الله من الضلالة في الدنيا، ووقاه الله يوم القيامة الحساب)) [١] فهو يأتي بهذه الرواية ليبين بها اتباع المنهج القرآني الذي حوى على أمهات الأخلاق الإسلامية ونهى عن أضدادها. وعندما يفسر قوله تعالى: ﴿ **الخبيثات للخبيثين** ﴾ [النور: ٢٦] يروي عن مجاهد أنه قال: ((الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من الكلام. وينتقل مجاهد بعد هذا البيان إلى بيان آخر متعلق بنفس الآية في قوله: ﴿ **وأولئك مبرؤون مما يقولون** ﴾ [النور:٢٦] فيذكر ((فمن كان طيباً فهو مبرأ من كل قول خبيث يقوله يغفره الله له، ومن كان خبيثاً فهو مبرأ من كل قول صالح، قال: يرده الله عليه لا يقبله منه))[٢٥] وهكذا كان الصنعاني يذكر قول التابعي الكبير بروح الرواية للكشف عن المعنى القرآني بوضوح وجلاء. وعندما يفسر قوله تعالى: ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب** ﴾ [البقرة: ١٥٩] يأتي برواية الأعرج الذي يحكي قول عن أبي هريرة لتقوية المعنى الوارد في الآية، إنه قال: ((إنكم لتقولون أكثر أبو هريرة عن النبي ﷺ، والله الموعد، وإنكم لتقولون ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بهذه الأحاديث؟ وما بال الأنصار لا يحدثون عن رسول الله بهذه الأحاديث، إن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق وإن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها، وإني كنت إمرءاً مسكيناً وكنت أكثر مجالسة النبي ﷺ أحضر إذا غابوا واحفظ إذا نسوا وأن النبي ﷺ حدثنا يوماً فقال من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه إليه فإنه لن ينسى شيئاً سمعه مني أبداً، قال فبسطت ثوبي أو قال نمرتي فحدثنا فقبضت إلي فوا الله ما نسيت شيئاً سمعته منه، وأيم الله لولا آية في كتاب الله، ما حدثتكم بشيء أبداً، ثم تلا: ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى** ﴾ [البقرة: ١٥٩]))[٢٦].

---

[١] تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ٢/ ٢٠-٢١

مما تقدم يتبين لنا اهتمام عبد الرزاق الصنعاني بالروايات التفسيرية التي أُثِرت عن الصحابة والتابعين من سلف الأمة الصالحين. إلا أن الملاحظ عليه أنه لم يخضع هذه الروايات إلى علم الجرح والتعديل، فلا نجده يعدّل ولا يُجرِّح ولا يُضعِّف، ولا يُصحح، فكتابه كتاب جامع فقط لما يروي عن السلف في التفسير، لم يتحر الصحة فيما جمع في هذا التفسير، وإنما خلط فيه بين الصحيح والعليل.

رابعاً: التفسير اللغوي والبلاغي:

لقد اشتمل تفسير عبد الرزاق الصنعاني على عدد كبير من الموضوعات اللغوية والبلاغية، وكان لضلوعه وتمكنه من اللغة وإحاطته الواسعة بعلومها من نحو وصرف وبلاغة وأدب تأثير واضح في تفسيره لإبراز عظمة لغة القرآن من حيث وفرة ألفاظها واتساع معانيها، وتعدد دلالاتها. وكانت طريقته في التفسير أن يورد دلالة اللفظة القرآنية المراد تفسيرها في اللغة ويكتفي باللفظة أو العبارة الموجزة في تفسيره للمفردات. فمثلاً يفسر لفظة ﴿**رجزاً**﴾ [البقرة:٥٩] بمعنى عذاباً، و ﴿**حوباً** ﴾ [النساء:٢] بمعنى إثماً و ﴿**ألا تعولوا** ﴾ [النساء:٣] بمعنى ألا تميلوا و ﴿**مخمصة**﴾ [المائدة:٣] مجاعة و ﴿**مكاء** ﴾ [الأنفال: ٣٥] تصفيراً و ﴿ **تصدية** ﴾ [الأنفال: ٣٥] تصفيقاً و ﴿ **يهرعون** ﴾ [هود:٧٨] يسرعون، و ﴿**اجتثت** ﴾ [إبراهيم:٢٦] استؤصلت و ﴿ **مثبوراً** ﴾ [الإسراء:١٠٢]مهلكاً، و ﴿**باخع**﴾ [الكهف: ٦] قاتل و ﴿**صياصيهم**﴾ [الأحزاب: ٢٦] بمعنى حصونهم. وإذا كانت دلالات الألفاظ القرآنية التي جاء بها من السهولة واليسر قد بلغت حداً كبيراً، فكذلك كانت عباراته الموجزة التي يفسر بها بعض التراكيب القرآنية تبلغ أيضاً من السهولة واليسر حداً كبيراً. ومن ذلك مثلاً تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت** ﴾ [هود:١] يقول: أحكمها الله عن الباطل وفصلها.[٢٧]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم وهم فيها لا يبخسون** ﴾ [هود: ١٥] يقول: من كان إنما همه الدنيا أن يطلبها إياها أعطاه الله مالاً، وأعطاه فيها ما يعيش به، وكان ذلك قصاصاً له بعمله، قال: وهم فيها لا يبخسون، يقول: لا يظلمون.[٢٨] وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**طوبى لهم** ﴾ [الرعد:٢٩] قال: هذه كلمة عربية، يقول الرجل: طوبى لك إن أصيب خيراً[٢٩].وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [الحجر:٩] قال: حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلاً، أو يبطل منه حقاً[٣٠] وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **كان أمة قانتاً لله** ﴾ [النحل: ١٢٠] قال: إمام مطيع لله[٣١] وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**تؤزهم أزاً** ﴾ [مريم:٨٣] قال: تزعجهم إزعاجاً في معاصي الله.[٣٢]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ [لقمان: ١٢] قال: العقل والفقه والإصابة في القول في غير نبوة.[٣٣] فهو يسهم إلى المعنى الجوهري ويركز عليه من دون إفاضات ومناقشات لغوية أو نحوية وكل ذلك من أجل إدراك لغة النص القرآني. ونجده يلقي الأضواء على الأدوات والحروف ويفصّل القول فيها لتوضيح ما الذي تدور حوله الأداة أو الحرف، وماذا تعني من الناحية اللغوية أو النحوية؟، وكل هذا يفصح عن مقدرته البارعة في مجال اللغة والنحو. ففي تفسير قول تعالى: ﴿**فأتوا بسورة من مثله** ﴾ [البقرة: ٢٣] يقول: بسورة مثل هذا القرآن[٣٤]. أي أن الهاء في لفظة ﴿ **مثله** ﴾ تعود إلى القرآن. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه** ﴾ [الأنعام: ١٦] أي من يصرف عنه العذاب[٣٥]. فالضمير هنا عائد إلى العذاب. وفي قوله:

﴿ **وهم ينهون عنه وينئون عنه** ﴾ [الأنعام: ٢٦] يقول: ينهون عنه القرآن وعن النبي ﷺ، ويتباعدون عنه[٣٦]. وفي قوله: ﴿ **وكتبنا عليهم فيها** ﴾ [المائدة: ٤٥] أي التوراة. وفي قوله: ﴿ **ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى** ﴾ [الإسراء: ٧٢] يقول: في الدنيا أعمى عما أراه الله من آياته من خلق السماوات والأرض والجبال والنجوم.[٣٧] وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **كانتا رتقاً ففتقناهما** ﴾ [الأنبياء: ٣٠] أي فتق السماء عن الماء والأرض عن النبات.[٣٨] وقد عني عبد الرزاق بالحروف المقطعة في أوائل السور مثل : ﴿**ألم** ﴾ و ﴿**المص**﴾ و ﴿ **كهيعص**﴾ و ﴿ **طسم** ﴾ و ﴿ **حم** ﴾ و ﴿ **حم عسق** ﴾ فقال: أنها اسم من أسماءالقرآن[٣٩] وتعد الحروف المقطعة في أوائل السور من الآيات المتشابهة، ذلك لانها غير متضمنة المعنى، ولا ظاهرة الدلالة ولا يجد بيانها في شيء من كلام العرب ولا من كلام الشرع، فهي غير متضمنة المعنى لا باعتبار نفسها، ولا باعتبار أمر آخر يفسرها ويوضحها، وإذا كان الأمر كذلك فتكون مما استأثر الله بعلمه[٤٠]. وهكذا فقد جعل عبد الرزاق من هذه الأدوات والحروف منطلقاً دلالياً لتفسير كلام الله من خلال بيان معانيه وتوضيح أغراضه. وكما نجد في تفسيره كثيراً من الأساليب البلاغية والجمالية بإطارها العام مما يدلل على أصالة هذه الفنون عنده وعن كشفه للذوق الفني في فهم خصائص البلاغة العربية وأصولها. ولننظر إلى مثل هذه الأساليب البلاغية والجمالية عنده في الأمثلة الآتية: ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ **ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ [طه: ١٢٤]. نرى عبد الرزاق ينبه في هذه الآية إلى وجود المجاز فيقول: ((أعمى عن حجته))[٤١] أي أن العمى هنا ليس عمى الجارحة، إنما المقصود به أن يكون عن تأمل الآيات والنظر في الدلالات والعبر التي أراها الله المكلفين في أنفسهم وفيما يشاهدون. ومثلها الآية الأخرى السالفة الذكر في هذا المبحث : ﴿ **ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى** ﴾. [الإسراء: ٧٢] حينما قال: في الدنيا أعمى عما أراه الله من آياته من خلق السماوات والأرض والجبال والنجوم، فعبد الرزاق نظر إلى ﴿**في هذه** ﴾ إلى أنها كناية عن العبر والإيمان في خلق السماوات والأرض، لا عن الدنيا، فالمجازية في أضراب هذه الألفاظ مقتضاة لضرورة المعاني، إذ لا بد من حمل المعنى على الاستعمال المجازي في الموردين ليستقيم المعنى القرآني. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ [الإسراء: ١١٠] ((كان النبي ﷺ يرفع صوته في الصلاة فيرمى بالخبث، فقال: لا ترفع صوتك فتؤذى، ولا تخافت، وابتغ بين ذلك سبيلاً))[٤٢]. ففي التعبير القرآني مجاز لغوي مرسل يدخل في ملحظ كون الشيء جزءاً من الأصل. فالمقصود بـ ﴿ **بصلاتك** ﴾ في الآية بقراءتك، ولما كانت القراءة أحد الأجزاء المهمة في الصلاة، ولملازمة الصلاة للقراءة، وكون القراءة جزءاً منها فأطلق عليها تجوزاً، والمعنى القراءة في الصلاة. وقد أكد هذا الملحظ الزمخشري (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) في تفسيره للآية فقال: ((بصلاتك: بقراءتك على حذف المضاف، لأنه لا يلبس، من قبل أن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأفكار وكان رسول الله ﷺ يرفع صوته بقراءته، فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا، فأمر أن يخفي من صوته، والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين))[٤٣].ومن الأساليب البلاغية الأخرى التي سجلها عبد الرزاق في تفسيره، أسلوب التشبيه الذي له أعظم الأثر في الكشف عن الإعجاز القرآني. ومن ذلك ما أورده تعالى في سورة البقرة كان للتشبيه فيها نصيب متميز،كما في قوله:

﴿ **كمثل الذي ينعق ولا يسمع** ﴾ [البقرة: ١٧١] يقول: هذا مثل ضربه الله تعالى للكافر يقول: مثل هذا الكافر كمثل هذه البهيمة التي تسمع الصوت ولا تدري ما يقال لها، فكذلك الكافر يقال له ولا ينتفع بما يقال لـه[٤٤]. بهذا التذوق الفني، والنظر الموضوعي، فهم عبد الرزاق التشبيه الوارد في الآية من خلال تصوير أعمال الذين كفروا وتشبيهها بالبهيمة التي تسمع الصوت ولا تدري ما يقال لها، فهو قد أوضح أعمال الكفار بالضياع الحاسم المؤكد الذي لا عودة فيه. وما يقال هنا يقال بالنسبة للآيات الأخرى التي وردت في تفسيره في كل من قوله تعالى: ﴿**فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث** ﴾ [الأعراف: ١٧٦] فقال: ((فكذلك الكافر هو ضال إن وعظته أو لم تعظه))[٤٥] وقوله تعالى: ﴿ **كسراب بقيعة** ﴾ [النور: ٣٩] فقال: ((فهو مثل ضربه الله لعمل الكافر، يحسب أنه في شيء كما يحسب هذا السراب ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً وكذلك الكافر إذا مات لم يجد عمله شيئاً)).[٤٦] ففي هذه الصور البيانية القائمة على التشبيه التي أوضحها عبد الرزاق في تفسيره نجد أنه لا بقاء لأعمال الكافرين وأن مصائر أعمالهم تذهب في التلاشي والضياع، وفي هذا ترهيب للكفرة وإنذار لكل من قطعت صلته بالخالق سبحانه وتعالى. ومن اللمسات البلاغية الأخرى التي وردت في تفسيره ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة** ﴾ [البقرة: ٢١٠] فقال: ((يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وتأتيهم الملائكة عند الموت.[٤٧] فهو قد لمس الصورة الفنية التي احتضنها التعبير القرآني في تصوير هول الموقف الذي يدهش له الإنسان، لكنه في هذا التفسير قد أوقع نفسه في التشبيه والتجسيم لاستحالة صدور ذلك الشيء من فاعله عقلاً وإنما يكون من أمره، فالمجيء هنا لأمر الله وفي نطاق مقدوره ودائرته، وليس لذاته القدسية، لأنه لا يوصف بالذات المتنقلة: القادمة أو الذاهبة أو المتحركة، بمعنى أن له مكان وظرف وهذا يوجب أنه أصغر من الظلل والظلل أعظم، ويوجب أن تكون الملائكة معه في الظلل لمكان العطف، وإن النظر العقلي يدل على أن الباري فوق المحدثات والممكنات ولو كان متصفاً بهذه الصفات لكان محدثاً أو ممكناً وهو خلاف ذاته الأبدية والأزلية. وهكذا يمضي عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره موضحاً وشارحاً لكلام الله، فهو يكتفي باللفظ أو العبارة الموجزة في تفسيره للمفردات كما أن فهمه الدقيق للمعاني القرآنية وإحاطته بالمفردات جعلته يدرك كل هذه الخصائص في اسلوب القرآن لا سيما ما برز فيه من خلال ذائقته الفنية وإلمامه بلغة العرب، وما امتاز به من الإحاطة بالبيان العربي، وبذلك يتضح أن عبد الرزاق وهو من رجال القرن الثالث للهجرة قدم الكثير من إشارات مباحث علم البلاغة التي تعد بداية صالحة لهذا الفن التفسيري وقاعدة لبناء ظل ينمو ويكبره بعده.

خامساً: عنايته بالقراءات القرآنية:

وقد عرض عبد الرزاق كذلك لما فيه قراءتان أو أكثر من الآيات التي فسرها في تفسيره، فدل بذلك علم القراءات، وإحاطة بسبعيها وشاذها، وكان أحياناً يتابع قراءة الجمهور. وهذه أمثلة توضح بعض هذه القراءات وكيفية توجيهها نحو التفسير: ففي قوله تعالى: ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ [البقرة: ١٨٤] نرى عبد الرزاق يذكر رواية عن معمر الذي يذكر: أخبرني من سمع سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة كانوا يقرؤونها ((وعلى الذين يُطَوّقونَه)) أي يكلفونه، وعلى هذا فالمعنى يكون: الذين يكلفون الصوم

ولا يطيقونه فيطعمون ويفطرون[٤٨] . ويذكر في روايات أخرى أن عائشة كانت تقرؤها بمثل هذه القراءة، وكذلك عطاء. إلا أن عبد الرزاق أخذ بقراءة الجمهور أو عامة القراء ﴿ **على الذين يُطيقونَه** ﴾ ومال إليها، وهو خط المصحف، وحجته في ذلك أن الآية: كانت في الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة يطيقان الصوم وهو شديد عليهما، فرخص لهما أن يفطروا ويطعما.[٤٩] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وابتغوا ما كتب الله لكم** ﴾ [البقرة:١٨٧] يقول عبد الرزاق: الرخصة الت كتبت لكم. ويذكر هما رواية بسنده عن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لابن عباس كيف تقرأ هذه الآية: ﴿**وابتغوا** ﴾ أو ﴿ **اتَّبِعوا** ﴾؟ قال: أيهما شئت، عليك بالقراءة الأولى.[٥٠] وعبد الرزاق يذهب هنا مع قراءة الجمهور ﴿**وابتغوا**﴾ وهو خط المصحف، لأن معنى الابتغاء هو الطلب، ومعنى الاتباع هو الانقياد والطاعة، فحجة عبد الرزاق أنه أراد طلب الرخصة التي كتبت لكم أو ما أحلّ الله وأباحه في مباشرة النساء. وقد رجح الطبري (ت:٣١٠هـ/ ٩٢٣م) رواية ﴿ **وابتغوا**﴾ أما قراءة ﴿**واتَّبعوا** ﴾ فهي قراءة الحسن ومعاوية بن قرة، وهي قراءة شاذة[٥١].ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السّلم لست مؤمناً** ﴾ [النساء: ٩٤] نجد عبد الرزاق يتابع قراءة ابن عباس ويستعين بها في التفسير، لأن ابن عباس كان يقرؤها (السلام) بإثبات الألف. والقراءة السبعية الأخرى (السّلَم) بطرح الألف. وحجته في ذلك: أنه أراد التحية، والمعنى كما ذكره: ((لحق ناس من المسلمين رجلاً في غنيمة فقال: السلام عليكم ، فقتلوه وأخذوا غنيمته فنزلت فيه)).[٥٢] أما حجة من طرح الألف: أنه جعله من الاستسلام، وإعطاء المقادة من غير امتناع. وأحياناً نجد عبد الرزاق يذكر في تفسيره قراءة غيره ويستشهد بها مثل قراءة ابن مسعود، ومعروف أن ابن مسعود كان يقرأ بقراءة خاصة، وله مصحف خاص به.ففي قوله تعالى: ﴿ **ثم أنشأناه خلقاً آخر** ﴾ [المؤمنون: ١٤]. يقول: وفي حرف ابن مسعود ﴿ **ثم أنشأنا له خلقاً آخر** ﴾[٥٣]

سادساً: المباحث الفقهية في تفسيره

سجل عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره كثيراً من المباحث الفقهية وأولاها اهتماماً واضحاً، ويعود السبب في ذلك أنه كان أحد الأئمة الأعلام من الحفاظ والمحدثين والفقهاء، ألف كتاباً سماه: السنن في الفقه، لكنه لم يصل إلينا، ولسعة علمه واطلاعه وخبرته بمواطن الاجتهاد الفقهي، أخذ يستنبط كثيراً من الأحكام الشرعية من كتاب الله العزيز. وسنعرض هنا شيئاً من المباحث الفقهية التي تعرض لها: ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ **كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة** ﴾ [البقرة: ١٧٨] ينقل لنا عبد الرزاق رواية مأثورة عن ابن عباس لبيان الحكم الفقهي المتعلق بحماية النفس وصيانتها من أي اعتداء قد يقع عليها، فيذكر: كان القصاص في بني إسرائيل ولم تكن الدية، فقال الله لهذه الأمة: ﴿ **كتب عليكم القصاص في القتلى.. الآية** ﴾ فالعفو أن يقبل الدية في العمد، ويتبع الطالب بمعروف ويؤدي إليه المطلوب بإحسان، مما كتب على من كان من قبلكم.[٥٤] فهو قد بيّن الحكم الفقهي الوارد في الآية، ففي فرض عقوبة القصاص تحقيق

لمصلحة المجتمع بإدامة نظامه وصيانة دماء أبناءه من أن تهدرها دوافع رخيصة، ومثل هذا الحق الذي منحه الشارع لأولياء الدم نراه يحثهم على العفو، لأن العفو صفة المتقين التي تطرد نوازع الثأر والانتقام، على عكس من سبقكم من اليهود حيث لم يكن في شرعهم إلا القصاص. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **ولا تنكحوا المشركين** ﴾ [البقرة:٢٢١]، نرى عبد الرزاق يذكر في تفسيره بأنه: ((لا يحل لك أن تنكح يهودياً ولا نصرانياً ولا مشركاً من غير دينك))[٥٥] لقد بين عبد الرزاق في هذه الآية الحكم الفقهي المستفاد منه وهو أن الآية دلت على حرمة تزويج المشرك بالمسلمة، والمراد بالمشرك هنا كل كافر لا يدين بدين الإسلام فيشمل الوثني، والمجوسي، واليهودي،والنصراني، والمرتد عن الإسلام، فكل هؤلاء يحرم تزويجهم بالمسلمة والعلة في ذلك أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فللمسلم أن يتزوج باليهودية أو النصرانية وليس لليهودي أو النصراني أن يتزوج بالمسلمة، وقد بين الباري سبحانه السبب بقوله: ﴿**أولئك يدعون إلى النار** ﴾ [البقرة: ٢٢١] أي يدعون إلى الكفر الذي هو سبب دخول نار جهنم. وعند تعرضه لتفسير قوله تعالى : ﴿ **وعلى الذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك من قبل** ﴾ [النحل: ١١٨] يقول عبد الرزاق: ((هو الذي في سورة الأنعام ﴿ **وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم** ﴾ [الأنعام: ١٤٦]))[٥٦] أي أن الذي حرمه الله على اليهود ما ذكره سبحانه وتعالى في سورة الأنعام، ولأن ما في سورة الأنعام نزل قبل هذه الأية، فهو استعان بآية سورة الأنعام الدالة على الاحكام الشرعية التي أجملت في سورة النحل وفصلت في سورة الأنعام. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرماً** ﴾[الأنعام:١٤٥][٥٧] نرى عبد الرزاق يذكر: ((كان أهل الجاهلية يستحلون أشياء ويحرمون أشياء، فقال: لا أجد شيئاً فيما كنتم تستحلون إلا هذا، يقول: ((إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهلّ لغير الله به))[٥٨] فعبد الرزاق يورد هذه الرواية المأثورة عن سلف الأمة الصالحين لبيان أصناف المحرمات، وكذلك لبيان حرمة الدم الذي قيد في الآية بلفظ (مسفوح) لأن ما خالط اللحم فغير محرم بإجماع، بعد أن كان أهل الجاهلية يستحلون أشياء ويحرمون أشياء. فوراء هذا الملحظ هدفاً تشريعياً، وهو الحفاظ على مصالح العباد من جنب المنافع لهم، ودفع الأضرار عنهم، وبما يتفق ومقصد الشارع في الربط بين النص القرآني والحياة الإنسانية بما يقودها قيادة سليمة. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك** ﴾ [البقرة: ٢٣٣] عقب عبد الرزاق على هذه الآية من حيث دلالتها على بعض الأحكام الشرعية بقوله: لا ترم به إلى أبيه ضراراً، ولا الوالد فينتزعه منها ضرراً إذا رضيت في أجر الرضاع بما ترضى به غيرها، وهي أحق به إذا رضيت بذلك، وعلى وارث الصبي مثل ما على أبيه، إذا كان قد هلك أبوه ولم يكن له مال، فإن على الوارث أجر الرضاع.[٥٩] ففي تعقيبه تحريم على كل من الأبوين أن يضر الآخر بسبب ولدهما الرضيع في تنفيذ أحكام الرضاعة، وكما لا يجوز على الأم أن تمتنع من إرضاعه أضراراً لأبيه، ولا يجوز أن تطلب هي أكثر من أجر مثلها، ولا يحل للأب أن يمنع الأم إذا رغبت فيه، ولا أن يقتر عليه في شيء مما يجب عليه فلا تكلف الأم الصبر على التقتير، كما لا يكلف الأب ما هو إسراف وما لا يقدر بل يجب أن يكون كل ذلك بالمعروف، وكذلك ليس له أن ينتزع الولد منها بدون سبب شرعي. وهكذا يمضي عبد الرزاق في تفسيره لبيان

المباحث الفقهية في كثير من الآيات الكريمة، مما أثر عن سلف الأمة الصالحين في التفسير والأحكام الشرعية، وهذا مما يعطي تفسيره أهمية خاصة، لأنه احتوى على هذه اللمع التفسيرية التي كانت كالمصابيح المشعة تنير الطريق وتهدي السبيل، أفاد منها الذين جاءوا من بعده.

سابعاً: موقفه من الناسخ والمنسوخ:

اهتم المفسرون القدامى والمحدثون بالناسخ والمنسوخ في أبحاثهم القرآنية اهتماماً كبيراً، وعبد الرزاق الصنعاني واحداً من أولئك المفسرين الذي اهتموا في هذا العلم،فكثيراً ما نجده يقول أن هذه الآية نسختها آية كذا. وسوف نعرض هنا لموقف عبد الرزاق من قضايا النسخ في القرآن كما يفصح عنها تفسيره. ويرى عبد الرزاق أن للنسخ معان أربعة: الإزالة، أو التبديل، أو المحو والإثبات، أو النقل من موضع إلى موضع آخر. ويمكن أن نقسم أهم دعاوى النسخ عند عبد الرزاق إلى قسمين رئيسين: قسم يدور حول الآيات التي قال أنها نسخها القتال، وقسم آخر يحتوي على بقية المسائل الأخرى المتنوعة. فمن أمثلة القسم الأول قوله تعالى : ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لهم** ﴾ [الأنفال:٦١] نراه يعرض رواية لقتادة يذكر فيها: وكانت هذه قبل براءة، كان نبي الله ﷺ يوادع القوم إلى أجل فاما أن يسلموا وأما أن يقاتلهم، ثم نسخ ذلك بعد براءة، فقال: ﴿ **اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ [التوبة: ٥] ونبذوا إلى كل ذي عهد عهده في براءة، وأمر بقتالهم حتى يقولوا لا إله إلا الله ويسلموا ولا يقبل منهم إلا ذلك، فإن براءة جاءت بنسخ ذلك، فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا لا إله إلا الله.

ودعوى النسخ هنا مردودة للأسباب الآتية:

١- الإسلام دين سلام لا دين حرب، فكيب يأمر بحرب من مال إلى الإسلام؟

٢- الجنوح كان للسلام، فلم الحرب إذن؟

٣- إذا كانوا قد جنحوا للسلم فقد أثروا السلام، وإذن فهم لم يمتنعوا عن أداء الجزية مثلاً، فلم قتالهم إذن؟

٤- هذه الآية نزلت في بني قريظة، أما آية: ﴿**اقتلوا المشركين** ﴾ فهي للمشركين عامة ولمشركي العرب من عبدة الأوثان خاصة والتي لا يمكن قبول جزية منهم، فكيف تطابق هذه الآية بتلك؟

٥- الحكم بقتل المشركين لا ينفي الحكم بقبول الصلح إن رفعوا أيديهم بالسلام، والناسخ لا يكون إلا بأن ينفي المنسوخ من كل وجه. وقد قسا الطبري في حكمه على هذه الرواية المأثورة عن قتادة التي ذكرها عبد الرزاق فقال: ((فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله أن هذه الآية المنسوخة: فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل))[٦٠] . ومن أمثلة القسم الثاني: قوله تعالى: ﴿ **اتقوا الله حق تقاته** ﴾ [آل عمران:١٠٢] قال: ((يطاع فلا يعصي، ثم نسخها ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾ [التغابن: ١٦]))[٦١].

ودعوى النسخ هنا مردودة للأسباب الآتية:

١- يظهر أن قوله: ﴿ **ما استطعتم** ﴾ هو تبيين وتوضيح لقوله: ﴿ **حق تقاته**﴾ إذ يذكر المفسرون أنه لما نزلت: ﴿ **اتقوا الله حق تقاته**﴾ فزع الكثيرون من الصحابة وتخوفوا أن لا يقوموا بذلك حق القيام، فنزلت: ﴿ **ما استطعتم** ﴾ تبييناً وتوضيحاً، ولا يكون المبين أو الموضح ناسخاً.

٢- وأيضاً فقوله: ﴿ **ما استطعتم** ﴾ تخفيف ويسر، وقد فهم عبد الرزاق وهو يروي عن قتادة الذي قال: ثم أنزل التخفيف واليسر وعاد بعائدته ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه، فقال: ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾، فجاءت هذه الآية فيها تخفيف وعاقبة ويسر، ولا يكون التخفيف والتيسير ناسخاً.

٣- وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿ **حق تقاته** ﴾ ليس كقوله تعالى: ﴿ **ما استطعتم** ﴾ من ناحية النسخ، لأن الناسخ لا بد أن يكون مخالفاً للمنسوخ من جميع جهاته ورافع له ومزيلاً لحكمه. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله** ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال عبد الرزاق: ((نسخها قوله تعالى: ﴿**لايكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت** ﴾ [البقرة:٢٨٦]))[٦٢] وهكذا نجد عبد الرزاق يكثر من الآيات الناسخة والمنسوخة في تفسيره لما لهذا العلم من أهمية في تفسير القرآن الكريم.

ثامناً: عنايته بالأخبار التاريخية:

كذلك نلاحظ على تفسير عبد الرزاق الصنعاني أنه يفيض في ذكر الأخبار التاريخية التي وردت في القرآن الكريم، وسنقف على جملة من الأخبار التاريخية من خلال المباحث الآتية:

أ - **<u>ذكره لأسباب النزول</u>**: اهتم عبد الرزاق في تفسيره ببيان أسباب نزول الآيات **اهتماماً كبيراً ليستعين بها** على التفسير والتوضيح، فيقول أن هذه الآية نزلت في كذا، أو حدث كذا فنزلت هذه الآية في كذا، أو حدث كذا فأنزل الله تعالى هذه الآية، او سئل النبي ﷺ عن كذا فأنزل الله تعالى ... ومن الأمثلة على ذلك عندما يتعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿ **ليس البر أو تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** ﴾ [البقرة: ١٧٧] يقول: كانت اليهود تصلي قبل المغرب، والنصارى قبل المشرق فنزلت الآية[٦٣] وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ **كتب عليكم القصاص في القتلى** ﴾ [البقرة:١٧٨] يقول: ((لم يكن من قبلنا دية، إنما كان القتل أو العفو، فنزلت هذه الآية في قوم كانوا أكثر من غيرهم، فكانوا إذا قتل من الحي الكثير عبد قالوا: لا نقتل به إلا حراً، وإذا قتلت منهم امرأة قالوا: لا نقتل بها إلا رجلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿**الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى** ﴾))(٦٤). وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ [البقرة:١٨٦] يقول: سئل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فقالوا: أين ربنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿**وإذا سألك عبادي عني..** ﴾[٦٥]وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾[**الفتح**:١] يقول: ((نزلت بعد الحديبية،وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبايعوه مبايعة الرضوان، أطعموا نخل خيبر، وظهر الروم على فارس، وفرح المؤمنون بتصديق كتاب الله، وظهر أهل الكتاب على المجوس))[٦٦].

والملاحظ على عبد الرزاق وهو يذكر أسباب النزول نجده يذكر أقوال غيره من المفسرين الذين سبقوه في هذا المجال، ولا نجد له في ذلك تعقيباً أو رأياً، ويكتفي بمجرد ذكرها فحسب.

ب - **<u>أحداث من السيرة</u>**: وجه عبد الرزاق اهتمامه ببعض الوقائع والأحداث والأنباء التي مرت في خضم تاريخ نزول القرآن الكريم الخاصة بالسيرة النبوية، وأكثر الاستشهاد بها في المواضع التي تتطلبها، فيفسر الآية بما صاحبها من أحداث تمثل تلك الحقبة التاريخية المهمة في التاريخ الإسلامي، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص** ﴾ [البقرة: ١٩٤] يقول عبد الرزاق: ((كان هذا في سفر

الحديبية، صد المشركون النبي ﷺ وأصحابه عن البيت في الشهر الحرام فقاضوا يومئذ المشركين قضية أن لهم أن يعتمروا في العام المقبل في هذا الشهر الذي صدوهم فيه، فجعل الله تعالى لهم شهراً حراماً يعتمرون فيه مكان شهرهم الذي صدوا فيه، فلذلك قال: والحرمات قصاص))[٦٧]. وفي تفسير قوله تعالى ﴿ **ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء** ﴾ [البقرة:٢١٤] يقول: ((يقول نزلت في يوم الأحزاب، أصاب النبي ﷺ وأصحابه يومئذ بلاء وحصر فكانوا كما قال الله عز وجل: ﴿ **وبلغت القلوب الحناجر** ﴾ [الأحزاب: ١٠]))[٦٨]. ويحكي عبد الرزاق في تفسيره أيضاً كثيراً مما كان يدور بين الرسول ﷺ وبين صحابته الأجلاء، فنجده مثلاً يسوق هذه القصة المروية عن أنس بن مالك لتفسير قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ [الحج:١] إلى قوله: ﴿ **ولكن عذاب الله شديد** ﴾ [الحج:٢] فيقول: ((نزلت على النبي ﷺ وهو في سير له، فرفع بها صوته حتى تاب إليه أصحابه،فقال أتدرون أي يوم هذا؟ يوم يقول الله لآدم: يا آدم قم فابعث بعث النار، من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة، قال: فكبر ذلك على المسلمين، فقال النبي ﷺ : ((سددوا وقاربوا وأبشروا فوا الذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير وكالرقمة في ذراع الدابة، وأن معكم لخليقتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه، يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفره الإنس والجن))[٦٩]. وهكذا يسرد عبد الرزاق في تفسيره أحداثاً كثيرة من السيرة النبوية ويتخذها عوناً له في التفسير والتوضيح، دون تعقيب أو تعليق.

ج- **<u>عادات العرب وأحوالهم</u>**: فسر عبد الرزاق الصنعاني عدداً كبيراً من الآيات عن طريق ذكر عادات العرب وأحوالهم قبل الإسلام وتوضيح علاقتها بالآيات القرآنية وكان عبد الرزاق على معرفة في أيام العرب وعاداتها وأحوالها وغزواتها. ففي تفسير قوله تعالى: ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ [البقرة: ١٩٧] يروي عبد الرزاق هذه الرواية فيذكر: ((كان أناس من أهل اليمن يخرجون بغير زاد إلى مكة،فأمرهم الله أن يتزودوا وأخبرهم أن خير الزاد التقوى))[٧٠] ومن عادات العرب تلك العادات القبيحة والمفاسد الأخلاقية التي كانت شائعة في المجتمعات الجاهلية، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق** ﴾ [الإسراء:٣١] يقول: ((كانوا يقتلون البنات خشية الفاقة))[٧١]. ومن ذلك أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين**﴾ [النور:٣] يذكر: كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهن،فاراد ناس من المسلمين نكاحهن، فأنزل الله تعالى الآية.[٧٢] ومن المعلوم أن العلماء اختلفوا في المراد بالنكاح في هذه الآية، فقال جماعة المراد بالنكاح في الآية الوطء الذي هو نفس الزنا، وقالت جماعة أخرى من أهل العلم أن المراد به هو عقد النكاح، قالوا: فلا يجوز لعفيف أن يتزوج زانية كعكسه، وهذا القول الذي هو أن المراد بالنكاح في الآية: التزويج لا الوطء في نفس الآية قرينة على عدم صحته، وتلك القرينة هي ذكر المشرك والمشركة في الآية، لأن الزاني لا يحل له نكاح مشركة، وكذلك الزانية المشركة لا يحل لها نكاح المشرك، فنكاح المشركة والمشرك لا يحل بحال.[٧٣] ففي هذه الآيات يبرز نمط من السلوك الاجتماعي المنحرف الذي كان سائداً في تلك المجتمعات.

ومما سجله عبد الرزاق في تفسيره من عادات العرب التي استقرت في البيئة، تلك التي وردت في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿ **ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه**﴾ [الأحزاب:٤] فيذكر في تفسير الآية: كان رجل لا يسمع شيئاً إلا وعاه، فقال النبي ما يعي هذا إلا أن له قلبين، قال: وكان يسمى ذا القلبين(٧٤) ويذكر في رواية أخرى: كان الرجل يقول: أن نفساً تأمرني بكذا ونفساً تأمرني بكذا، فقال الله تعالى ﴿ **ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه** ﴾ [الأحزاب: ٤]))(٧٥).

د- <u>**اهتمامه بالتاريخ القديم والديانات والنحل القديمة**</u>: تحدث عبد الرزاق في تفسيره عن معلومات في التاريخ القديم واستعان بها في التفسير، فتحدث في قضية أخذ العهد والميثاق من الأنبياء بالتصديق في رسالة محمد ﷺ. ففي قوله تعالى: ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة** ﴾ [آل عمران: ٨١] يذكر: ((أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً، ثم قال: ((ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه)) قال: فهذه الآية لأهل الكتاب، أخذ الله ميثاقهم أن يؤمنوا لمحمد ويصدقوه))(٧٦).

وعن اهتمامه بالديانات والملل والعقائد القديمة، نراه يحقق القول في تلك المسائل، فهو يتحدث عن الصابئة وعن المجوس والوثنيين كما يتحدث عن حنفاء العرب، ويذكر بعض الأشياء من التوراة والإنجيل، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا** ﴾ [الحج:١٧] يقول: ((الصابئة قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة ويقرأون الزبور، والمجوس يعبدون الشمس والقمر، والذين أشركوا يعبدون الأوثان، والأديان ستة، خمسة للشيطان، وواحد للرحمن))(٧٧)

تاسعاً: خوضه في الإسرائيليات:

ولقد سقطت في تفسير عبد الرزاق الصنعاني بعض الإسرائيليات وهي تتركز بالذات عند الآيات التي تعرض لأهل الكتاب وتذكر أخبارهم وتتحدث عن أنبيائهم، وكذلك الآيات التي تحكي قصص الأنبياء الآخرين مثل نوح ولوط وهود وداود وأيوب ويوسف عليهم السلام، وكذلك تجنب رواية الإسرائيليات التي تتنافى مع العقيدة وظاهر الشريعة، إلا أنه لم يسلم من إيراد بعض القصص الإسرائيلي الذي لا نستسيغ روايته عقلاً. وايضا بعض الموضوعات مثل قصة الخليقه الأولى وآدم وحواء والشيطان والحية،واكثر هذه الاسرائيليات يرويها بإسناده إلى كعب الأخبار ووهب بن منبه وغيرهم، ومما نلحظه على عبد الرزاق وهو يروي هذه القصص الإسرائيلي لا يعلق عليها بالتصحيح أو التضعيف. ومن ذلك ما يرويه عبد الرزاق في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون**﴾ [البقرة:٥٠] فيذكر: ((لما خرج موسى ببني إسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال: لا تتبعوهم حتى يصيح الديك قال: فوا الله ما صاح ليلتئذ ديك حتى أصبحوا فدعا بشاة فذبحت ثم قال: لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع إلى ستمائة ألف من القبط، فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع إليه... ثم سار موسى ومن معه، واتبعهم فرعون في طريقهم حتى إذا تتاموا فيه أطبقه الله عليهم فلذلك قوله: ﴿**وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون** ﴾ [البقرة:٥٠]))(٧٨) فكيف السبيل إلى التصديق بهذه الرواية؟ ومن الإسرائيليات المروية في تفسيره نراه يقص لنا عن وهب بن منبه قصة الخليقة الأولى وآدم وحواء والشيطان والحية فيذكر ((لما أسكن الله تعالى آدم الجنة وزوجته، ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرة

غصونها متشعب بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكلها الملائكة لخلدهم وهي الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية وكانت الحية لها أربع قوائم كأنها من أحسن دابة خلقها الله، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حواء، فقال: انظري إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها؟ وأطيب طعمها وأحسن لونها ! فأخذتها حواء فاكلت منها، ثم ذهبت إلى آدم، فقالت: انظر إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها فأكل منها آدم، فبدت لهما سوءاتهما، فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه: يا آدم أين أنت؟ قال: أنا هذا يارب؟ قال: ألا تخرج؟ قال: استحي منك يارب، قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة تتحول ثمارها شوكاً...))[٧٩]. ومن الإسرائيليات المروية عن كعب الأحبار ما يرويه عبد الرزاق في تفسير قوله تعالى: ﴿ **سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين** ﴾ [الأعراف:١٤٣] فيذكر لنا: ((**لما كلم الله موسى كلمه** بالألسنة كلها قبل لسانه، فطفق موسى يقول: والله يا رب هذا حتى كلمه آخر ذلك بلسانه بمثل صوته، فقال موسى: هذا يا رب كلامك، قال الله تعالى: لو كلمتك كلامي لم تكن شيئاً، أو قال: لم تستقم له، قال: أي رب هل من خلقك شيء يشبه كلامك؟ قال: لا وأقرب خلقي شبه كلامي أشد ما يسمع الناس من الصواعق))[٨٠] .ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **ولقد همّت به وهمّ بها** ﴾[يوسف: ٢٤] نراه يروي خبراً بسنده عن ابن أبي مليكة، قال شهدت ابن عباس وهو يسأل عن هم يوسف ما بلغ قال: حل الهميان، وجلس منها مجلس الخاتن، فنودي يا ابن يعقوب أتزني؟ فتكون كالطائر وقع ريشه فذهب يطير فلا ريش له[٨١]. ومن المعلوم أن هذه الرواية تتنافى مع عصمة الأنبياء، ولا تستبعد أن تكون قد تسربت إلى التابعين ومن بعدهم من مسلمة أهل الكتاب، فتكون مع الإسرائيليات التي تساهل بعض السلف في نقلها، ونحن ننزه سيرة الأنبياء عليهم السلام من مثل ذلك، ولعل أفضل تفسير يليق بهذا المقام ما ذكره بعض المفسرين إن همها كان إقناعه بما تريد، وكان همه بها ردعها وتذكيرها بالله واليوم الآخر ثم الفرار منها للنجاة. ومن سمات الإسرائيليات التي نجدها في تفسيره، تحديد العدد من ناس وسنين وأيام وأعمار ومسافات وأطوال وما إلى ذلك، ومن الإسرائيليات أيضاً أسماء للرسل وأسماء لبعض البقاع والأماكن،وأزمنة لبعض الأحداث المعينة، حددها الرواة وكلها فرضيات قالوها باستثناء الروايات الصحيحة الواردة عن الرسول الأكرم ﷺ، فهنا يجب التثبت والوقوف عند الروايات الواردة في هذا الشأن، فالتحديدات الواردة في كتب المفسرين أكثرها فرضيات ويصح معها النفي والاثبات، ومبنية على الرأي الذي لا يستند إلى دليل يعتد به، وحجة دامغة يصار إليها، زيادة على أن أكثر هذه الروايات لا تمت إلى العقيدة بصلة الوعي الهادف، التي تعتمد التحريف تارة والتضليل تارة أخرى. لذا يجب مراعاة ذلك حفاظاً على تراث أمتنا وخوفاً من استهداف مجدنا الشامخ، وتحرزاً من كيد الطاعنين وبعض من شبهات المستشرقين. وإذاً فلا يمكن أن ننفي عن عبد الرزاق الصنعاني أنه كان يورد الإسرائيليات في تفسيره، فهي واضحة وكثيرة وما يذكره من ذلك يمر عليه بدون أن يعقب عليها بالتصحيح أو التضعيف، فهو بلا شك أيضاً مسؤول عما يورده في تفسيره.

عاشراً: التفسير الوعظي والأخلاقي:

لقد اشتمل تفسير عبد الرزاق الصنعاني على عدد كبير من المواعظ والقيم الأخلاقية التي لها الأثر الكبير في تربية النفس الإنسانية والاستعلاء بها إلى آفاق سامية من التهذيب والتدريب، كشفت لنا أنه رجل واعض محسن في وعظه، يدعو إلى الأخلاق الحميدة وإلى المعاملة الكريمة وإلى التعاون والترابط والتراحم والتكافل، ونجده في كثير من جوانب تفسيره لا يكاد يترك مجالاً للوعظ إلا وعظ، ولا يكاد يجد مناسبة للدعوة إلى الهداية القرآنية إلا دعا. فهو داعية للهداية، ومصلح اجتماعي كبير، على وفق قانون الأخلاق في الإسلام، الذي هو الطريق الصحيح لبناء المجتمع. ومن أمثلة ذلك دعوته إلى الهداية القرآنية من خلال تجنب النظر في كتاب الله والوقوف على معانيه وأسراره واتباع هديه، والخشية العابدة أمام روعة الخطاب الإلهي، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ **فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى** ﴾ [طه:١٢٣] ويقول: ((من قرأ القرآن فاتبع ما فيه هداه الله من الضلالة في الدنيا ووقاه الله يوم القيامة الحساب))[٨٢]. ونراه يدعو إلى التنبيه لكل من يدخل بيتاً خالياً أن يذكر اسم الله ويحمده، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله** ﴾ [النور:٦١] إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد، فقل: باسم الله والحمد لله، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[٨٣]. ومن ذلك أيضاً دعوته إلى بعض الخصال الخلقية في حسن التعامل مع الجار بكل ضروبه، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٣٦) من سورة النساء: ﴿**والجار ذي القربى** ﴾ نراه يقول: هو جارك وهو ذو قرابتك، ﴿ **والجار الجنب**﴾ جارك من قوم آخرين،﴿ **والصاحب بالجنب** ﴾ صاحبك في السفر، ﴿ **وابن السبيل** ﴾ الذي يمر عليك وهو مسافر[٨٤]. ونجده يحذر الناس من المعاصي والقبائح التي حرمها الله التي سميت بالكبائر، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ **أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه** ﴾ [النساء: ٣١] فيقول: الكبائر الإشراك بالله،، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وأكل الربا، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، واليمين الفاجرة، والفرار من الزحف[٨٥]. ويحذر عبد الرزاق الصنعاني من اتباع خطوات الشيطان والتحرر من نزعاته، وما يتركه في النفس من شرور ومفاسد، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر** ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، إن للملك لمةً وللشيطان لمة، فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجدها فليحمد الله، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتنكيب الحق، **فمن وجدها فليستعذ بالله**[٨٦]. ونجد عبد الرزاق يشرح الأمثال القرآنية ويستعين بها كذلك في درسه الوعظي والأخلاقي حتى يجذب النفوس ويحببها إلى هذا الدرس الوعظي، فنراه يشرح المثل القرآني في قوله تعالى: ﴿ **فكأنما خرّ من السماء** ﴾ [الحج: ٣١] .يقول: ((هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكه، ((فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق)).[٨٧] ومن الأمثال القرآنية الأخرى التي يستعين بها في التفسير قوله تعالى: ﴿ **كسراب بقيعة** ﴾ [النور:٣٩] يقول: ((بقيعة من الأرض، يحسبه الظمآن ماء، فهو مثل ضربه الله لعمل الكافر، يحسب أنه في شيء كما يحسب هذا السراب ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً وكذلك الكافر إذا مات لم يجد عمله شيئا، ﴿ **ووجد الله عنده فوفاه حسابه** ﴾[٨٨] . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ **وما يستوي الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظلّ ولا الحرور** ﴾ [فاطر: ١٩-١٢] يقول: ((هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن: كما لا يستوي هذا كذلك لا يستوي الكافر

والمؤمن)).[٨٩] وهكذا يستمر عبد الرزاق في شرحه للأمثال القرآنية لإبراز الأغراض والموضوعات التي عالجها في توجيهه لتربية الإنسان سلوكاً واعتقاداً. ومما يلاحظ عليه أنه في درسه الوعظي والأخلاقي يجري على أسلوب مؤثر بسيط وموجز، يقرن النظر بالعمل والتربية، لأنه يرى أن بناء النفس الإنسانية لا يتم إلا من خلال الصلة الكريمة بالله تبارك وتعالى التي لا تفصل بين الإنسان ومطالب دنياه والعمل لآخرته بل تمزج في وحدة وتناسق رائعين، وهذا يعني أن الله تعالى أراد العمل بهذه لهذه، والجمع بين هذه وهذه.

حادي عشر: لمحات شتى متعلقة بنظراته العقلية الخاصة:

ولا يفوتنا أن ننبه على ما نلحظه في تفسير عبد الرزاق الصنعاني من الموضوعات ذات الاختصاص الفكري والعقائدي، فقد استخدم العقل والرأي في شواهد عدة في تفسيره، مما يشهد له بأنه كان سديد الرأي، بعيد المدى، مستعيناً بالمأثور عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم. ومن أمثلة هذه النظرات الخاصة تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل** ﴾ [آل عمران:٢٧] يقول: ((هو نقصان أحدهما في الآخر))[٩٠] وفي تفسير قوله تعالى﴿ **وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي** ﴾ [آل عمران: ٢٧] نجده يقول: ((يخرج الحي من هذه النطفة الميتة، ويخرج هذه النطفة الميتة من الحي))[٩١]. ومن ذلك أيضاً تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين** ﴾ [آل عمران:١٣٨] نراه يقول: ((بيان من العمى، وهدى من الضلالة وموعظة من الجهل))[٩٢] ومن تفسيراته التي يستخدم فيها العقل والرأي ما يذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً** ﴾ [الأنعام: ٢٥]، ((يسمعونه بآذانهم، ولا يعون منه شيئاً، كمثل البهيمة التي تسمع القول، ولا تدري ما يقال لها))[٩٣] وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** ﴾ [الحجر:٢٤] نجد عبد الرزاق قد أوضح سمة المستقدمين والمستأخرين في الآية الكريمة فقال: ((المستقدمين آدم ومن بعده، حتى نزلت هذه الآية، والمستأخرين من كان من ذريته لم يخلق بعد وهو مخلوق، كل أولئك قد علمهم)).[٩٤] كذلك نرى عبد الرزاق لا يقف أمام ظواهر بعض النصوص القرآنية لإرادة المعنى الحقيقي، وإنما يذهب إلى ذلك بحمل الكلام على المعنى المجازي ومعالجة النص القرآني في ضوء هذا الاستعمال ليناسب معنى الآية. ففي تفسير قوله تعالى: ﴿**ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى** ﴾ [الإسراء: ٧٢] يقول: في الدنيا أعمى عما أراه الله من آياته من خلق السماوات والأرض والجبال والنجوم ﴿**فهو في الآخرة**﴾ الغائبة التي لم يراها، ﴿ **أعمى وأضل سبيلاً** ﴾[٩٥] فعبد الرزاق حمل معنى العمى على الإرادة المجازية دون الإرادة الحقيقية، لتوضيح جمال التركيب القرآني الذي ينطوي على البلاغة والإعجاز كذلك نجد عنده كثيراً من الآيات التي يفسرها بفكره الخاص التي يراها أقرب إلى الصواب من غيرها، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً** ﴾ [الأحزاب:٧٢] نراه يقول: ((هي فرائض الله التي عرضها على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها))[٩٦] ، إذ أنه فسر الأمانة بالفرائض التي فرضها الله فعظم أمرها، وفخم شأنها، لأن تكليف الإنسان بهذه الفرائض بلغ من عظمه وثقل محمله مثلما بلغ عظم الأمانة

وصعوبة أمرها، وثقل محملها، والوفاء بها، ومن ذلك أيضاً تفسيره لقوله تعالى:﴿ **وربِّ المشارق** ﴾[الصافات:٥] نراه يذكر: ((**المشارق ثلاثمائة وستون مشرقاً**، والمغارب ثلاثمائة وستون مغرباً في السنة، قال: والمشرقان: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، والمغربان: مغرب الشتاء ومغرب الصيف))[٩٧]. كذلك نجده يخوض في بعض مسائل العقيدة الإسلامية التي منها مسألة اليوم الآخر، لتقرير الحقائق الدينية الثابتة بالبراهين اليقينية القاطعة المستنطبة من القرآن الكريم نفسه والسنة النبوية المطهرة،ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ **يوم التَّلاق** ﴾ [المؤمن: ١٥] يقول: ((**يوم يتلاقى أهل السماء أهل الأرض والخالق وخلقه**))[٩٨] وفي تفسير قوله تعالى:﴿ **يوم التّناد** ﴾ [المؤمن:٣٢] يقول: ((يوم ينادي كل قوم بإعمالهم فينادي أهل النار وأهل الجنة، وأهل الجنة أهل النار))[٩٩].ولعبد الرزاق بعض التفسيرات العقلية الأخرى، مثل تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فتحنا عليهم أبواب كل شيء** ﴾ [الأنعام: ٤٤] يقول: الرخاء وسعة الرزق.[١٠٠] وفي قوله تعالى: ﴿ **وهو الحكيم الخبير**﴾[سبأ:١] يقول: ((حكيم في امره خبير بخلقه))[١٠١] وفي قوله تعالى:﴿ **لا يأتيه الباطل** ﴾[فصلت:٤٢] نجده يفسر الباطل بالشيطان الذي لا يستطيع أن يبطل منه حقاً ولا يحق فيه باطلاً[١٠٢] وفي قوله تعالى:﴿ **حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً**﴾[الأحقاف: ١٥] يقول: ((حملته من مشقة ووضعته من مشقة)).[١٠٣]

يتضح مما تقدم أن التفسيرات العقلية والأفكار الخاصة التي جاء بها عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره، والتي أوردنا أمثلة منها في هذا البحث، كان الدافع لها هو تفسير القرآن والوصول إلى فهمه، وإماطة الشبهات عن لغته ومعانيه. وكل هذه التفسيرات العقلية والنظرات الخاصة التي جاء بها كانت تتحرك وتدور داخل إطار الإسلام وتتشبع بروح القرآن الكريم. ويبدو أنه في معالجة هذه التفسيرات كان متأثر بلا شك بمن سبقوه في هذا المجال، لكن هذا التأثر كان ضئيلاً.

الخاتمة وأهم النتائج

بعد هذه الجولة من الدراسة أرى من الضروري أن أشير بإيجاز إلى أهم النتائج التي توصلت إليها في أرقام:

١- من خلال مباحث الدراسة المتعددة استطعنا أن نبرز جهود عبد الرزاق الصنعاني التفسيرية الذي يعد واحداً من أعلام الدراسات القرآنية الذين نهضوا بتفسير القرآن الكريم في نهايات القرن الثاني من الهجرة ومطلع القرن الثالث الذي حملوا على عاتقهم أمانة الفكر وأداء الكلمة في طريق التفسير القرآني.

٢- من الأسس الواضحة لمنهج عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره بأسلوب تفسير القرآن بالقرآن، بجعل

٣- القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، وأنه أصح أنواع التفسير وأجلها، فكان ذلك جزءاً من منهجه التفسيري

٤- واستعان عبد الرزاق في تفسيره بالسنة النبوية، وبأقوال الصحابة وبكبار التابعين، وأنه يأتي بهذه الروايات المأثورة عن الرسول الكريم ﷺ وكذلك عن سلف الأمة الصالحين للاستشهاد والتقوية ولدعم تفسيره، وبهذا فإن عبد الرزاق الصنعاني واحداً من الذين ينتمون إلى مدرسة التفسير النقلي

٥- أتاحت له خبرته الواسعة بعلوم اللغة العربية وآدابها ومعرفته الدقيقة بأساليب الاستعمال العربي، وتذوقه لأسرار البلاغة العربية القدرة على إبراز أهمية المنهج اللغوي في الفهم القرآني.

٦- درسنا اختيار عبد الرزاق الصنعاني في القراءات وكيف يتابع أحياناً قراءة الجمهور، ورأينا أن هذه القراءات التي اختارها عبد الرزاق إما أن تكون للظاهر من معنى الآية أو لأمر لغوي، كما استعان عبد الرزاق بقراءات ابن عباس وابن مسعود.

٧- كانت لعبد الرزاق نظرات فقهية خاصة تأخذ بظاهر النص القرآني، وهذا مما يدل على خبرته بمواطن الاجتهاد الفقهي، واستنباط الأحكام الشرعية من كتاب الله العزيز.

٨- اهتم عبد الرزاق في تفسيره بالناسخ والمنسوخ، وقد ناقشنا أمثلة من الدعاوى التي رفعها بالنسخ.

٩- أفاض عبد الرزاق في تفسيره في ذكر الأخبار التاريخية التي وردت في القرآن الكريم، والتي شملت أسباب النزول، وأحداث من السيرة النبوية، وعادات العرب وأحوالهم، وبالتاريخ القديم،والديانات والنحل القديمة، وهو في عرضة لتلك المباحث يكتفي بمجرد الذكر والسرد، دونما تعليق أو تعقيب.

١٠- ولم تكن الإسرائيليات غريبة في تفسير عبد الرزاق، شأنه في ذلك شأن التفاسير القديمة.

١١- اهتم عبد الرزاق في تفسيره بالمواعظ والقيم الأخلاقية التي كان لها الأثر الكبير في تربية النفس الإنسانية والاستعلاء بها إلى آفاق السمو والرفعة، لأنه يرى أن بناء النفس الإنسانية لا تتم إلا من خلال الصلة الكريمة بين الخالق والمخلوق.

١٢- رصدنا في تفسيره بعض الموضوعات ذات الاختصاص الفكري والعقائدي، وكانت له نظرات عقلية خاصة في تفسير بعض النصوص القرآنية، وأكثر هذه التفسيرات جاءت مقيدة بإطار القرآن الكريم والروح العامة للإسلام.

١٣- قدمنا خطوة جليلة في النظر في آثار مفسر من مفسري الطبقة التي تلت التابعين، رحم الله عبد الرزاق الصنعاني وأثابه على هذا الجهد الكبير والعمل الضخم والعناية الفائقة لخدمة كتاب الله الخالد.

وبعد:

فذلك هو جهد عبد الزراق الصنعاني في تفسيره، وهو جهد ضخم وما أودعته في هذا البحث ليس إلا أمثلة منه، توضح جوانبه وتشير إلى اتجاهاته، فأرجو أن أكون قد وفقت لرسم صورة واضحة القسمات، جلية الملامح لعبد الرزاق الصنعاني المفسر، المحدث، الفقيه، الذي يدل على غزارة علم، وسعة دراية، تضيفانه إلى كبار المفسرين، وتجعلانه بحق أحد مشاهيرهم. وأمل أن يكون في إحياء هذا التراث العربي الإسلامي الأصيل نفعاً للباحثين في الدراسات القرآنية. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.. والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

خير ما نبدأ به:

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، وبهامشه إعجاز القرآن للقاضي الباقلاني، المكتبة الثقافية، بيروت ١٩٧٣م.

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٧م.

٤- البداية والنهاية، أبو الفداء، عماد الدين، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

٥- تذكرة الحفاظ، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) نشر الدار السلفية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الرابعة، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

٦- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر، عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني الحميري (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م) ، مخطوط بدار الكتب الملكية المصرية بالقاهرة برقم ٢٤٢ تفسير و ٧٠٦ تفسير، مصورة عن النسخة الأصلية، مودوعة في خزانة الشيخ صبحي البدري السامرائي- بغداد.

٧- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٨- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، الحافظ شيخ الإسلام، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٩م) تفسير الجزء الأول من سورة البقرة، حققه وخرج أحاديثه د. أحمد عبد الله العماري الزهراني، مطبعة دار هجر في السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٩- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٥٦م.

١٠- تفسير القسم الأول من سورة آل عمران، ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٩م) حققه وخرج أحاديثه د. حكمت بشير ياسين، مطبعة دار هجر في السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١١- التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٢- تقريب التهذيب، الحافظ شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، حققه وعلق حواشيه وقدم له: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية بباب الرحمة د.ت.

١٣- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) تحقيق: أبي اسحاق إبراهيم إطفيش، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧ م عن طبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثالثة.

١٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٣م) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.

١٥- الجامع الصحيح، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) مطابع الشعب، القاهرة، ١٣٨٧هـ.

١٦- الحجة في القراءات السبع، أبو عبد الله، الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨١م) تحقيق وشرح: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)

١٧- سنن أبي داود، الحافظ أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٩م)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.

١٨- سنن الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) ضبط ومراجعة وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، نشر: محمد عبد المحسن الكتبي، مطبعة الاعتماد، د.ت.

١٩- سنن النسائي، الحافظ أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، المطبعة المصرية، الأزهر، د. ت.

٢٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح، عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٢١- صحيح مسلم، الإمام أبو الحسن، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/ ٨٧٥م)، طبعة محمد علي صبحي، القاهرة، ١٣٣٤هـ.

٢٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

٢٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م. وأيضاً طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

٢٤- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ- ١٣٧١م.

٢٥- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة ١٩٧٧م.

٢٦- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٧- المسند، الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، شرحه ووضع فهارسه: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٣٧٠هـ-١٩٥١م.

٢٨- ميزان الإعتدال في نقد الرجال، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.

هوامش البحث

١. يقع هذا التفسير المخطوط في (٣٥٤) ورقة، والتفسير المخطوط مصور عن نسخة دار الكتب الملكية المصرية بالقاهرة، برقم ٢٤٢ تفسير و ٧٠٦ تفسير، تم تصويره في الثامن من شوال عام ١٣٦٦هـ الموافق الرابع والعشرين من أغسطس عام ١٩٤٧م، محفوظ في حزانة الشيخ صبحي البدري السامرائي- بغداد.

٢. ينظر ترجمته في كتب التراجم والسيرة مثل: لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، ٧/ ٢٨٧ وتقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني أيضاً، ١/ ٥٠٥ وفي البداية والنهاية، لابن كثير، ١٠/ ٢٦٥ وفي ميزان الاعتدال، للذهبي، ٢/ ١٢٦- ١٢٩ وفي تذكرة الحفاظ، للذهبي أيضاً، ١/ ٣٣١ وفي شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، ٢/ ٢٧.

٣. مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ٩٧.

٤. تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ٣٦٤ وينظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، ٦/ ٣١٠.

٥. ينظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ٣٦٤ وميزان الاعتدال ، للذهبي أيضاً، ٢/ ١٢٧ وتهذيب التهذيب، ابن حجر، ٦/ ٣١٠.

٦. ينظر : الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، ٦/ ٣٨ وتذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ٣٦٤ وتهذيب التهذيب، ابن حجر، ٦/ ٣٤٠ وما بعدها.

٧. ينظر في ذلك على سبيل المثال: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم وطبقات المفسرين، للداودي والطبقات الكبرى، لابن سعد وتذكرة الحفاظ، للذهبي وتهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي.

٨. ينظر: الاتقان، السيوطي، ٢/ ١٥٧- ١٧٦.

٩. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٩٣ وينظر له في المصنف، ٣/ ٣٠١ وينظر: جامع البيان، الطبري، ٢/ ٤٥٨ وفي النسخة المحققة، ٤/ ٤٥٤ الأثر رقم (٤٧٩٣) والطبري أخرج الرواية عند الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن الثوري عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين، مع اختلاف يسير في النظر.

١٠. وينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (المجلد الأول ل ١٦٤ أ) والرواية جاءت بنفس السند مع اختلاف يسير في اللفظ، والحديث ذكره ابن كثير في تفسيره، ١/ ٥٣٨-٥٣٩ من رواية أبي حاتم، وعبد بن حميد، وسعيد بن منصور، وابن مردويه بإسنادهم كلهم عن أبي رزين ونحوه، وكذا رواه البيهقي، ٧/ ٣٠٤ بإسناده من رواية سعيد بن منصور.

١١. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ٢/ ٢٨٤ وينظر : الجامع الصحيح، البخاري، ٢/ ٧٦ كتاب الجنائز وجامع البيان، الطبري، ١٠/ ٢٠، ٢٨/ ١١١ وفي سنن الترمذي، ٤/ ٢٤٢ وفي سنن النسائي، ٤/ ٣٦.

١٢. ينظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٤٤ وجامع البيان، الطبري، ١/ ٢٤٣-٢٤٤ والطبري أخرج هذه الرواية من عدة طرق بنحوه. وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٨١.

١٣. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ٢/ ٣٦٠ وينظر: جامع البيان، الطبري، ١٤/ ١٩٠ ومجمع البيان، الطبرسي، ٦/ ٣٩٠ والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ١٩٧ وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٥٩٠.

١٤. هكذا وردت آية الأنعام/ ١ في النص، وهو تحريف من الناسخ، وصحة الآية: ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض﴾.

١٥. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، (ل ١٢٤ ب) وينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٤/ ٣٨ والطبري أخرج الرواية من طريق بشر قال: حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد، عند قتادة بلفظه.

١٦. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ٢/ ٩٦.

١٧. الجامع الصحيح، البخاري، ١/ ٢١١ وروى البخاري الشطر الأول من الحديث وورد الحديث في صحيح مسلم، ٣/ ٦.

١٨. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٨٢.

١٩. الجامع الصحيح، البخاري، ٢/ ١٥٧ باب فضل الحرم. وورد الحديث في صحيح مسلم ، ٢/ ١٠٩ وفي سنن أبي داود، ٢/ ٤٣٤ وهؤلاء الثلاثة رووا قسماً من الحديث. وورد أيضاً في مسند الإمام احمد بن حنبل، ٢/ ١٨٧ إذ روى القسم الأخير من الحديث، والمراد بـ (نحول أهل الجاهلية) العداوة والبغضاء.

٢٠. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٥٨.

٢١. المصدر نفسه ١/ ١١٩ والحديث أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، ٥/ ١٦٦ بهذا الإسناد وورد في صحيح مسلم، ٧/ ٩٦.

٢٢. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٤٣ والحديث من رواية أبي داود في كتاب السنة، ٧/ ٦٢ ورواه الترمذي في سننه في تفسير سورة البقرة، ١/ ٢٧٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح ورواه الإمام أحمد في المسند، ٤/ ٤٠٠، ٤٠٦.

٢٣. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٤٥ وورد الحديث في مسند الإمام أحمد، ٥/ ٣، وفي سنن الترمذي، ٤/ ٢٩٤، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

٢٤. ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، ١/ ٦١-٦٢ ومباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ٢٨٩.

٢٥. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ٢/ ٢٠-٢١.
٢٦. المصدر نفسه، ٢/ ٥٥.
٢٧. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٦٤ والحديث رواه الإمام أحمد في المسند، ٢/ ٢٦٣ وورد في صحيح مسلم، ٧/ ١٦٧ في فضائل الصحابة وورد عند الترمذي في سننه، ٤/ ١٣٨ باب العلم.
٢٨. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ٢/ ٣٠١.
٢٩. المصدر نفسه، ٢/ ٣٠٢.
٣٠. المصدر نفسه، ٢/ ٣٣٥.
٣١. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ٢/ ٣٤٥.
٣٢. المصدر نفسه، ٢/ ٣٦٠.
٣٣. المصدر نفسه، ٣/ ١٢.
٣٤. المصدر نفسه، ٣/ ١٠٥.
٣٥. المصدر نفسه، ١/ ٤٠.
٣٦. المصدر نفسه، ٢/ ٢٠٨.
٣٧. المصدر نفسه، ٢/ ٢٠٥.
٣٨. المصدر نفسه، ١/ ٣٨٢، ٣٨٣.
٣٩. المصدر نفسه، ٣/ ٢٣.
٤٠. ينظر في ذلك على سبيل المثال وليس الحصر، تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٣٩، ٢/ ٢٢٥، ٣/ ٣، ٧٣، ١٣٩، ١٧٨، ١٩٠.
٤١. ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ١/ ٣١٧.
٤٢. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ٢/ ٢١.
٤٣. المصدر نفسه، ٢/ ٣٩٢ وروى البخاري حديثاً بمعناه في باب التفسير، ٥/ ٣٢٩ ومسلم مثل حديث البخاري في باب الصلاة، ٢/ ٣٤.
٤٤. الكشاف، الزمخشري، ٢/ ٧٠٠ وينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٦٩.
٤٥. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٦٥.
٤٦. المصدر نفسه، ٢/ ٢٤٤.
٤٧. المصدر نفسه، ٣/ ٦١.
٤٨. المصدر نفسه، ١/ ٨٢.
٤٩. ينظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٧٠.
٥٠. ينظر: المصدر نفسه والصفحة.
٥١. ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٧١.
٥٢. ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢/ ١٧٠.
٥٣. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ١٧٠ وينظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ١٢٦.
٥٤. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ٢/ ٤٥.
٥٥. ينظر المصدر نفسه، ١/ ٦٧.
٥٦. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٨٩.
٥٧. المصدر نفسه، ٢/ ٣٦٠.
٥٨. هذه الآية جواب عن أشياء سألوا عنها رسول الله (ص) فاجابهم عن المحرمات من تلك الأشياء. [ينظر: الرسالة، الشافعي، ٢٠٧].
٥٩. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ٢/ ٢٢٠.
٦٠. ينظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني ، ١/ ٩٤.
٦١. جامع البيان، الطبري، ١٤/ ٤٢.
٦٢. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ١٢٨.
٦٣. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ١١١.
٦٤. ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٦٦.
٦٥. المصدر نفسه والصفحة.

٦٦. المصدر نفسه، ١/ ٧٣ والحديث رواه الترمذي من حديث النعمان بن بشير، ٤/ ٢٧٩.
٦٧. المصدر نفسه، ٢/ ٢٢٥.
٦٨. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٧٣-٧٤.
٦٩. المصدر نفسه، ١/ ٨٣.
٧٠. المصدر نفسه، ٢/ ٣١ والحديث رواه البخاري، ٤/ ١١٠ في الأنبياء وتفسير سورة الحج، إذ روى جزءً منه، ورواه مسلم في باب الإيمان، ١/ ١٣٩ ورواه الترمذي في سننه في باب التفسير، ٥/ ٦.
٧١. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٧٧.
٧٢. المصدر نفسه، ٢/ ٣٧٧.
٧٣. ينظر: المصدر نفسه، ٣/ ٥١.
٧٤. ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ٦/ ٧١-٧٢.
٧٥. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ١١١.
٧٦. المصدر نفسه والصفحة.
٧٧. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ١٢٤.
٧٨. المصدر نفسه، ٣/ ٣٩.
٧٩. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٤٥-٤٦.
٨٠. المصدر نفسه، ٢/ ٢٢٦.
٨١. المصدر نفسه، ٢/ ٢٣٨.
٨٢. المصدر نفسه، ٢/ ٣٢١.
٨٣. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ٢/ ٢٠-٢١.
٨٤. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ٢/ ٦٦.
٨٥. الصدر نفسه، ١/ ١٥٩.
٨٦. المصدر نفسه، ١/ ١٥٤.
٨٧. المصدر نفسه، ١/ ١٠٩.
٨٨. لمصدر نفسه، ٣/ ٣٨.
٨٩. المصدر نفسه، ٣/ ٦١.
٩٠. تفسير عبد الرزاق الصنعاني ٣/ ١٣٥.
٩١. المصدر نفسه، ١/ ١١٧.
٩٢. المصدر نفسه والصفحة.
٩٣. المصدر نفسه، ١/ ١٣٤.
٩٤. المصدر نفسه، ١/ ٢٠٨- ٢٠٩.
٩٥. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ٢/ ٣٤٨.
٩٦. المصدر نفسه، ٢/ ٣٨٢- ٣٨٣.
٩٧. المصدر نفسه، ٣/ ١٢٥.
٩٨. المصدر نفسه، ٣/ ١٤٧.
٩٩. المصدر نفسه، ٣/ ١٨٠.
١٠٠. المصدر نفسه، ٣/ ١٨١.
١٠١. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ١/ ٢٠٩.
١٠٢. المصدر نفسه، ٣/ ١٢٦.
١٠٣. المصدر نفسه، ٣/ ١٨٨.
١٠٤. المصدر نفسه، ٣/ ٢١٦.